العدد (1973) السنة الثامنة - الاحد (28) تشرين الثاني 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

قناديل

بين ندم اينشتاين وعنف بعض المثقفين

لطفية الدليمي

(١)

قال (اينشتاين) اثناء احتضاره وهو يتذكر فظاعة القنبلة النووية وما جرته من ويلات على البشرية :

(كنت أفضل أن اكون سبّاكا)

ويالها من أمنية كشفت ندم العالم الذي قدم مفتاح السر النووي لعلماء فيزياء تضافروا بعلمهم مع ذرائعية السياسة ووقعوا في فخ الجريمة معها ، فجردت السياسة الذرائعية العلمَ من انسانيته وسخرته لإبادة ، تمنى اينشتاين ان يكون مصلح انابيب وحنفيات على أن يكون سببا في اكتشاف النظرية التي استغلها (ليو زيلارد) عالم الفيزياء الهنغاري وزملاؤه لشطر نواة الذرة وصنع القنبلة على اساسها فتسببت في قيامة نووية روعت البشرية وهددت مستقبلها..

أبلغ زيلارد صديقه اينشتاين انه توصل إلى امكانية التفاعل المتسلسل لشطر نواة الذرة و صنع القنبلة النووية في الوقت الذي ظهرت معلومات عن توصل المانيا الهتلرية لصنع القنبلة فكتب اينشتاين رسالة الى الرئيس روزفلت يطلب اليه الاسراع بانتاج القنبلة قبل ان يصنعها هتلر فيقضي على سكان العالم ، وبعد اقرار (برنامج مانهاتن) لتصنيع القنبلة واسنادالعمل لمجموعة من العلماء، استبعد اينشتاين لعدم ثقتهم بولائه لاميركا باعتباره المانيا ذا ميول يسارية ناقدة ، وانيطت رئاسة البرنامج بالعالم (اوبنهايمر) الاب الحقيقي للقنبلة، واقترح اينشتاين وجمهرة من العلماء ان تلقى القنبلة على منطقة غير مأهولة لارغام اليابان على الاستسلام لكن الرئيس ترومان الذي تسلم القيادة بعد وفاة روزفلت ،اصدر اوامره بالقائها على هيروشيما وعلق اينشتاين بعد ان علم بمقتل ٦٦ الف ياباني خلال دقيقة واحدة : ويل لي – ليتني كنت أحرقت أصابعي قبل ان اكتب رسالتي الى الرئيس روزفلت !! ..

ولندمه أمضى سنوات حياته الباقية في الدعوة للسلام و التخلي عن السلاح النووي وشارك عالم الرياضيات البريطاني والمدافع عن السلام (برتراند راسل) في اصدار بيان عالمي وقعه عدد كبير من علماء الفيزياء والمثقفين ضد الحرب والمجازر والسلاح النووي بعد صدمته بما آل إليه مصير العلم المجرد من انسانيته..

(٢)

ماذا سيحدث لو تسلم حكم البلاد مثقف او شاعر ما ؟؟ حتما سيستبشر الناس خيرا لثقتهم بأن المثقف كائن مميز وانساني وذو مخيلة سيحرم العنف ويصون الجمال و يعزز سبل الحياة الكريمة للبشر وسوف يحظر التعذيب وكل ما يحط من شأن الانسان و ينحاز للحياة و يدين ويحتج ويتخذ مواقف مشرفة عندما ترتكب الانتهاكات والعنف الارهابي ضد مواطني بلده ، لكن الناس سيصدمون عندما يعلمون أن ثمة مثقفين يقترحون العنف والقتل طريقا لحل معضلات بلدهم وسوف يتساءلون : أيعقل أن يتمنى المثقف إنزال القصاص بمن يختلف معهم على طريقة الارهابيين في قطع الرؤوس وثقب الاجساد والجماجم ؟؟ حينها سيكتشف الناس زيف ذلك المثقف الذي لايمتلك شرف الموقف وقوة الحجة بتخليه عن الحوار واختياره خطاب العنف والدم و سيفاقم الخراب والمذابح ويؤجج حريق البلاد -ليسقط في حضيض التوحش و لو كان ذا مجد عظيم..

لايمكن قط لمثقف يمتلك وهجة ابداع وحجة منطق وأصالة ثقافة وضميرا حيا أن يقرّ العنف والتعذيب لمن يخالفهم ، ما الذي يتبقى للارهابي مغسول الدماغ ؟ ماذا يتبقى للدكتاتور والمستبد اذا ماتصدى الشاعر والمبدع لإصدار الاحكام وتقلد سيف القصاص ؟؟ هل يتساوى المبدع المبشر بالسلام وكرامة البشر مع الارهابي الداعي إلى جز الرؤوس ؟ وكيف يتناسى المثقف أن مملكة الوئام والسلام والخير لاتؤسس على دماء وجماجم من نختلف معهم كما عودتنا الديكتاتوريات ،إنما تقوم بحوار الثقافة مع السياسة ونقد اداء السياسيين ومكاشفتهم ، حسب المبدع ان يعزز اسس السلام ويلوّح بالامل فقد أتخم العراقيون موتا وألما ويأسا ، ولنتأمل ما الذي تبقى من اسبانيا فرانكو : قصائد لوركا ام دموية فرانكو ؟؟ ما الذي تركه فرانكو وامثاله من مستبدي العالم الدمويين غير العار بينما خلدت قصائد لوركا في وجدان البشر وذاكراتهم ، ولم تخلد سومر غير ملحمة كلكامش التي عرف بها عراق الحضارات بينما نسي الاباطرة والغزاة والقتلة ، فكيف لمبدع ان يتقمص عباءة جلاد ويتنازل عن شرف الابداع في هياج عاطفة ثأر جاهلية ؟؟ هل من نادم يعلن براءته من دم العراقيين كما ندم اينشتاين؟

مراجعات

الدنيا في حقيبة يد رضوى

نزار عبد الستار

من روعة حظنا انه لا يوجد كتاب يمكن له أن يقول كل شيء. هذه الحكمة لا تدرك مع الرواية الأولى، وربما رضوى الأسود وهي تكتب حفل المئوية لم تنتبه إلى انها حشرت الدنيا كلها في حقيبة يدها. على هذا النحو المفرط في الحساسية تولد التطلعات الكبيرة.

رواية حفل المئوية تشيع ارتياحا أوليا وهو شعور يتأتى من النيات الحسنة التي تثير الانتباه من شدة مثاليتها. انها رواية تسعى لاستعادة القيم وخلق التوازن والتذكير بالقواعد الصحيحة، والجميل في هذا العمل انه يشبه إشارة مرورية حمراء أو علامة لونية تدل على ارتفاع نسبة الخطر. وإذا ما فحصنا التكنيك الروائي المتبع فسنجده يحيلنا إلى جيل الستينيات وإلى التجريب المحفوظي في الثمانينيات. وبما انها الرواية الأولى فان هذا القدر من الشعور بالمسؤولية الذي يتلبس الكاتبة هو مؤشر لابد من ان يؤخذ بنظر الاعتبار ويحسب لرضوى.

الروايات تشبهنا، وهذه الحقيقة مرجعها هنري جيمس حيث الهدف الأسمى هو جعل الرواية قلباً نابضاً بالحياة والمعيار الفني هو الاستشعار ومعنى هذا ان يملك الكاتب من ضمن فطرته التطلع إلى عالم نظيف والسعي إلى نحت الجمال. من هذا المبدأ سعت رضوى الأسود إلى تنظيم العالم من خلال ست حكايات منفصلة تمثل نساء كن فيما مضى من فتيات المكتبة والصحافة المدرسية ويجتمعن بعد مرور سنوات طويلة على تخرجهن من مدرسة الراهبات الفرنسية في حفل أقامته مدرستهن بمناسبة مرور مائة عام على تأسيسها.

القصص الست تبدو في إطارها الاجتماعي انحناءات حياتية طبيعية ولكنها تمثل تحديات في المقام الأول حيث ان بطلات الرواية: رانيا ومريم ونسيلة ودينا وجوى وأروى، هن مجموعة أفكار وأحلام أرادت المؤلفة ان تجعلهن متيقظات وحاضرات في الصراع حتى في اشد حالات الضعف. وكما أن دينا في النهاية تقوم بخلع غطاء الوجه أمام جموع الحفل في المدرسة "مثلما خلعت صفية زغلول غطاء وجهها أمام الجموع تعبيرا عن تحرر المرأة من الانزواء في الحريم التركي" فان أروى تدافع عن الفن وترى انه لا يجب الحكم على رواية أو لوحة فنية من منطلق ديني ومثلها جوى التي تبحث عن الطاقة الايجابية في الحياة ممثلة بالحب والحلم. أما نسيلة فانها تحترم الحرية كقيمة مطلقة وهو أيضا ما تدركه مريم وتراه يتطابق مع روحها وميولها الأدبية بينما رانيا ابنة الطبقة الطفيلية التي ظهرت" بشكل سرطاني" في أواخر السبعينيات من القرن الماضي فهي منقسمة الجسد والروح.رضوى الأسود وضعت في روايتها عشرات الأسماء لشخصيات أدبية وفنية وفكرية ولروايات وكتب، وبطلاتها يتحدثن بثقة ويدافعن عن أفكارهن بيقين لا يتزحزح. انها محاولة واعية من المؤلفة لاسترجاع القيمة المسلوبة، ولنقل استرجاع مصر بقيمها الثقافية واشعاعها التنويري، وهذا الإصرار جاء أحيانا على حساب التوازن الفني إلا انني أجده مقبولا ويحسب للمؤلفة فدنيا ارتأت أن تقلد شخصية وطنية مثل صفية زغلول لا أن تأتي بشيء جديد وهذا بمثابة تذكير وعودة إلى نقطة الانطلاق الأولى، كما ان دعوة المشاركة بالحفل التي أرسلتها مدرسة الراهبات إلى طالباتها هي أيضا استدراج إلى اللقاء وإزاحة اللبس والعودة إلى فهم قيمة التسامح وكأن رضوى تريد أخبارنا أن الظلام المحيط بنا لا ينتمي الينا واننا اجتهدنا في تفسيرات خاطئة للدين والثقافة والحياة وعلينا استرجاع حقيقتنا.

حفل المئوية رواية أخلاقية تنتقد مصر التي منعت الموديل العاري منذ عام ١٩٧٩ بينما مايكل انجلو كان يرسم لوحته الجدارية العملاقة عن سفر التكوين على سقف كنيسة سيستاين وهو عار كي يكون جسده هو الموديل الحي الذي أمامه. انه التضارب والانغلاق وهذا هو الخطر الذي تنبه اليه الرواية وترجونا من خلاله ان نبحث عن نورنا القديم المتميز.

ان تاريخ الرواية العالمية يرتبط بالدافع النبيل وهذا سبب وجيه لمسامحة هنري مللر و د.هـ .لورنس والعديد من كتاب الرجة الكهربائية. الكثيرون هذه الايام يفتقرون إلى حكمة طاغور لكن من الضروري أن يكون بيننا من لا يعرف أن الحياة مشبعة بالغش. انه الاعتماد الجذري على القيمة الإنسانية والحياتية وهذا بحد ذاته يشيع التفاؤل لاننا في النهاية نكتب من أعماق قلوبنا.

في حقيقة الأمر ان ارثنا الروائي العظيم تأسس على الأخلاق وإذا ما أخذنا تاريخ المتعة الفنية الذي لخصته روايات مؤلمة تفضح الشقاء الإنساني وتسجل أقسى حالات الظلم والاستبداد فان الخلود كان من نصيب الأعمال التي كتبت بضمير حي يصل إلى درجة النقاء الكلي. على هذا الشكل لا يمكن لأحد أن ينتقد فيكتور هيجو أو تولستوي أو دوستويفسكي فهؤلاء خرجوا من حلبة التقييم إلى مركبة النصر. قياسا بهذه الصورة يمكن القول أن رضوى الأسود تختلف تماما عن جيلها من الروائيين الجدد فهي ليست ضمن موجه بحر وعملها الأول وان شابه الاندفاع المنفعل بطاقة الروح فانه يؤسس لخطاب جديد متعقل ويعد بالكثير.

نقد موسيقي

البحرينية هدى عبد الله.. غناء مختلف وصوت بمرتبة العذوبة

علي عبد الأمير عجام

كانت مختلفة تماما عن سائد الغناء العربي المعاصر عبر التجربة الفريدة التي شكلتها اسطوانة "وجوه" التي وضع موسيقاها وغنى فيها المطرب البحريني خالد الشيخ اعتمادا على شعر ابن وطنه قاسم حداد، فقد مثلت صوتا من نوع آخر، صوتا يفيض روحية في الاداء مثلما هو من خامة بات نادرا التعرف عليها في المشهد الغنائي العربي المعاصر، فالمطربة هدى عبد الله التي التقتها "المدى" في "مهرجان الموسيقى العربية" بالقاهرة، هي صوت مختلف تشكل في حاضنة اكاديمية اذ انهت دراستها في الموسيقى والغناء بالقاهرة اواخر ثمانينيات القرن الماضي، وبرز في اجواء موسيقية منفتحة على وعي فكري تقدمي وفني متقدم عبر العمل في فرقة "اجراس"، والتزمت صاحبته شكل الغناء الراقي عبر غناء القصائد والانفتاح ما امكن على "غناء عاطفي" مرهف ورصين كما الحال في تجربتها الاخرى مع خالد الشيخ ضمن اسطوانته "مستحيل".

هذا "الالتزام" الذي بدا وكأنه اطار ثقيل حد من تجربة صاحبة شريط (غناوي الشوق - ١٩٩٠) تعتبره المطربة هدى عبد الله نوعا من التميز، جعلها تختار بامعان نصوص اغنياتها، وتذهب نحو النغم الذي "يرقى بذوق الانسان ومشاعره"، وان الفجوة التي باتت واضحة بين اغنياتها والمتلقي العادي، تراها من مسؤولية مؤسسات الانتاج الغنائي والعاملين في مجالات دعم العمل الفني، دون ان تعدم امكان المزاوجة بين "جدية" الشكل الموسيقي وقبول الاغنية "المختلفة" شعبيا عبر توسيع دائرة الجانب العاطفي واخراجه من مدى التعبير عن علاقة المرأة بالرجل الى مستويات أوسع، كالغناء للصداقة، للوطن، ولكن دونما خطاب مباشر فج، ودون "نخبوية" غالبا ما وصمت بها تجارب "الغناء المختلف" العديدة عربيا.

وهي بحسب حساسية تبدو مفرطة حيال المفردة، فانها تعتبر الكلمة عاملا حاسما في تحديد مصير الاغنية ثم يأتي بعدها الصوت المؤدي فاللحن الموسيقي، متوقفة عن ميلها للشعر العربي في تجاربه المعاصر، فهي غنت من نصوص محمود درويش، قاسم حداد، علي الشرقاوي وغيرهم. وتعتبر اختيارها هذا اساسا في طبع تجربتها الغنائية بملامح تنسجم مع شخصيتها حتى وان جعلتها في دائرة "الموقف السلبي" من قبل مؤسسات الانتاج الغنائي، منوهة انها حين اختارت تقديم اعمال خارج التداول "الشعبي" فانها لم تقصد ان تكون غير عابئة بالمتلقي العادي، بل هي توضح "انني قدمت اعمالا كي تنال رضا الناس وتقديرهم، وهو ما اتلمسه عقب كل حفل، واذا كانت تلك الاعمال لم تصل الى المتلقي العربي فقد يكون وراء ذلك تقصير المؤسسات الفنية البحرينية ووسائل الاعلام ايضا".

ان اي مراجعة نقدية لاداء المطربة هدى عبد الله لقصيدة محمود درويش " عندما يسقط القمر" بحسب لحن اليمني جابر علي تمنح كلامها عن "التقصير" في وصول الاغنية الى مديات التلقي الواسعة التي تستحق، صدقية واضحة لجهة ان تلك القصيدة المغناة تنسج قالبا غنائيا كلاسكيا وفق حساسية معاصرة، عبر صاحب النص مرة وعبر اداء المطربة الذي جاء مرهفا وعميقا مرة اخرى. ومثل هذا المعنى تكرر في اداء "غزة" بحسب نص الشاعر علي الشرقاوي ولحن زوجها الموسيقار خليفة زيمان الذي خبر قدرات هدى عبد الله فنيا وانسانيا، وهنا تفوق اداؤها القائم على استحضار جماليات الصوت على صور متداولة وشائعة تضمنها النص الشعري، وساعدها في ذلك لحن زيمان الذي نأى عن فخ الحماسة والزعيق الذي لطالما تنصبه "الاغنيات والقصائد الوطنية"، للمتلقين وهم يحضرون حفلات كالتي قدمت فيها الاغنية وعنت بصورة "القدس عاصمة للثقافة العربية".

صاحبة شريط " تقصيت الخبر- ١٩٩٥" التي بدت منفتحة على فضاء اوسع من اللون الخليجي في الغناء، لم تهمل التعبير الراقي عن البيئة المحلية البحرينية، فمن يسمع اغنيتها "ليل المحرّق" التي صاغ كلامها الشاعر علي عبد الله خليفة ووضع لحنها رفيق حياتها خليفة زيمان، فانه يصل الى عمق حكايات "المحرّق" المنطقة الشعبية المعروفة عبر تصوير شعري مرهف ولحن لا يستعيد بملل الايقاع التقليدي للاغنية الخليجية وان كان قاربه، ودائما بصوت عاشقة يبوح عن المكان والاهل والاشواق المكتومة.

والمطربة هدى عبد الله وان شاب حديثها عن تجربتها الغنائية شيء من الاحباط مع رغبتها الشديدة في التواصل مع اجواء الاغنية المعاصرة، فهي تقول" انا افهم عملية الانتاج وما تحتاجه من نفس جديد، وانا انظر الى العديد من التجارب الجديدة في الغناء باحترام وتقدير عاليين، لكنني اشكو قلة الفرص، ضيق المكان البحريني، والفهم الضيق لمؤسسات الانتاج"، لكنها لا تتردد في تقديم اغنيات جميلة تنطلق من البيئة المحلية كما في "بحرينية" الاغنية التي كتبها بدارجة اقرب الى العربية الفصيحة الشاعر علي الشرقاوي ولحن خليفة زيمان، وهي اغنية تتوافر بانسجام على مختلف عناصر النجاح في الاغنية: الكلام الذي يستعيد صورة المكان البحريني وانسانه تاريخا وراهنا واللحن الايقاعي الرشيق والمعاصر، والصوت الصادح املا وثقة والذي تقول صاحبته "انا لا اتردد عن مقاربة الغناء الجديد ولكن مع الحفاظ على مستوى معين من الرصانة، المستوى الذي يبدو ان مؤسسات الانتاج ظلت اسيرة الخوف منه".

وصاحبة اغنية رقيقة مثل "عصفور" التي غنتها العام ١٩٩٠ يوم كانت ضمن فرقة "اجراس" كانت قدمت دروسا في الرقة الغنائية التي تصور برهافة حال المرأة العاشقة، كما في تجاربها اعتمادا على الحان المطرب خالد الشيخ الذي شاركها "مكان آمن للحب" وغيرها من اشواق صاغها شعرا ابن وطنهما قاسم حداد، ثم اغنية "مستحيل" الايقاعية الرشيقة التي تردد فيها "انت العذاب الجميل..هجرك من المستحيل" ولاحقا "لاخط ..لاهاتف" حين شدت فيهما الى جانب الشيخ في ثنائي خسرته الاغنية العربية المعاصرة وتحديدا العاطفية الرقيقة حين لم تتكرر اطلالته لاحقا.

والى جانب تجربتها الفنية التربوية في البحرين حيث تعمل في برنامج لتعميق التربية الموسيقية والفنية بعامة في مدارس بلادها، وتعتبره جانبا بارزا لايقل اهمية عن ميدان عملها في الغناء، فان المطربة و"التربوية" هدى عبد الله باتت تمثل روحا جديدة في سياق عمل المحفل الموسيقي الاكاديمي العربي الاول، فهي تمثل اليوم وطنها البحرين في "المجمع العربي للموسيقى" التابع لجامعة الدول العربية ، وتأمل من رئاستها "اللجنة التربوية" فيه ان تثير قضايا المنهاج التربوي الموسيقي العربي وفق روحية جديدة تنفض الغبار عن هذا الملف الذي لم يجد عناية يستحقها، فهي تشدد على ان "اصلاح حال الموسيقى العربية يبدأ اليوم من التربية فالتربية ثم التربية".

متابعة

الفريد سمعان في الخميس الابداعي

اعترافات لاعب الشطرنج الأحمر

محمود النمر

وجرائد اثناء الحرب العالمية الثانية ،وكان البريد منتظما رغم الظروف القاسية التي يمر بها العالم.

واسترسل الشاعر الفريد سمعان بسرد ذكرياته الثقافية والسياسية بعد نهاية الحرب الكونية الثانية حيث انتصار القوى التقدمية واندحار الفاشية وكان ذلك تحولا كبيرا في العالم ،والعراق كان يغلي في صراعه مع القوى الاستعمارية .

بعد نضوج تجربته الشعرية والسياسية كانت هناك جملة من الاعتقالات حتى وصل الامر به الى – نقرة السلمان – وكان سجنا قاسيا ورهيبا ،ولكن كانت هناك حيوية كبيرة للمناضلين الذين كانوا هناك ،وكنا نتلقى دروسا في الثقافة والسياسة بحيث كانت فترة السجن مضمخة ومحملة بعطاءات كبيرة.

ثم قرأ جزءا من قصائدة عبر هذه العقود العبقة برائحة النضال من اجل الحرية والانعتاق .

بعد ذلك تحدث الناقد السينمائي كاظم مرشد السلوم عن الحشد الانساني الذي يتصف به الفريد سمعان والدعم المتواصل من قبله للملتقى الخميس الابداعي.

واكد الشاعر رياض النعماني قائلا: في زمن تتراجع به الحياة وتشرف على الموت وهو حالة يومية تتنفسها الناس وفي هذا الزمن هناك روح سرية تظل تبحث عن لحظة نقية تتجلى بها حتى تبقى هذه الحياة جديرة باسمها من اجل الانسان واحدى هذه اللحظات التي تجلت والتقت فيها يقظة الروح المتوهجة بالحياة ،هذه اللحظة اسمها الفريد سمعان.

بعدها شارك الموسيقار علي حسن بعزف بعض المقطوعات الموسيقية التي عبرت عن قدرة هذا الفنان المفعم باللحن وتداعياته الموحية الى لحظة الجمال الموسيقي .

ثم قرأ الشاعران سبتي الهيتي ومحمود النمر قصيدتين مهداتين للشاعر، وتوالت الشهادات من قبل المحامي طارق حرب والدكتورة خولة زيدان وقدم الفنان علي سالم اغنية البنفسج التي اطربت الحضور ،وفي نهاية الحفل قدمت للشاعر باقة ورد من الحزب الشيوعي العراقي ثم قلد الشاعر حسب الشيخ جعفر لوح الابداع للملتقى الخميس الابداعي للمحتفى به .